

الجفاف الروحي؛ الأسباب والعلاجات

الأستاذ المشرف: الدكتور حمزة على إسلامي نسب

الطالبة: بهجه أحمد سلطان

#### ملخص المقال

إنّ المرض الأخطر الذي يهدّد وجود حياتنا الإسلامية والإيمانية، على المستوى الفردي والمجتمعي، هو مرض "جفاف الروح"، والذي انتشر بين صفوف المسلمين والمؤمنين وبُتنا نرى عوارض هذا "الجفاف" من تراجع للقيم الإنسانية والإسلامية عند بعض المسلمين والمجتمعات الإسلامية، لذلك كان لا بدّ لنا أن ندق ناقوس الخطر.

وانطلاقاً من رؤية القرآن الكريم ومستعينة بما رُوي عن رسول الله (ص) وأهل بيت (ع)، ومستفيدة من كلمات الأعلام والفقهاء والمفكرين، تكلمتُ في هذا المقال عن أسباب هذا الجفاف، الأسباب النفسية والمجتمعية، وسلطتُ الضوء على حبّ الدنيا وحبّ الذات، ومخاطر هذين الحَبَّين وأثرهما السلبي على الإنسان وعلى المجتمع.

ثمّ عرجتُ على ضعف الإيمان ومرض القلب، باعتبارهما من آثار حبّ الدنيا والذات، ووصلتُ في النهاية إلى علاج الجفاف الروحي، العلاجات النفسية والمجتمعية، وبدأتُ بالنفسية مع تسليط الضوء على العقل ودوره وأهميته في تصويب الإنسان نحو الصراط المستقيم، ثمّ تكلمتُ عن الأسباب المجتمعية، وتحدثتُ فيه عن بعض ركائز المجتمع كالقضاء والإدارة والدولة والإعلام، في محاولة بسيطة لتقديم تصوّر مبدئيّ للعلاج من هذا المرض الفتاك وهو جفاف الروح.

الكلمات المفتاحية: الجفاف، الروح، القلب، المجتمع، العقل، العلاج، القرآن

## المقدمة

في هذا الزمن القاسي، يتعرض الإسلام لأشرس هجوم واعتداء من أعدائه، أعداء الله والإنسانية. فمن محور الاستكبار العالمي إلى محور العروبة المنافق، وما في جعبتهما من وسائل إعلامية وإعلانية، مكتوبة ومرئية وسمعية، وصولاً إلى شبكة عنكبوتية (انترنت) أريد لها أن تأسر العالم كله في مصيدها لتسممهم بثقافتها الغربية المادية اللاإنسانية.

أمام ظلامه هذا المشهد، يلوح لنا نورٌ في الأفق، وهو نور المؤمنين، نور الإسلام المحمدي الأصيل، وهو النور الذي يمثل الأمل للمستضعفين وشاطئ الأمن والأمان للمؤمنين الخائفين، وهو نور المقاومة والصمود والعلم والثقافة والفكر الذي ورثناه من عترة النبي الطاهرة (ع) وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (التوبة-٣٢).

والنور مسكنه القلب ومنبعه الروح، فإذا ما جفّت الروح وقسى القلب انطفأ النور ومات الإنسان روحياً وقلبياً، لذلك كان لزماً علينا أن نعتني بأرواحنا ونهتّم بها، ونحذر من الأمراض الأخلاقية التي تحاول التسلل إلى أرواح المؤمنين لتسممها وقتلها؛ هذه السموم الأخلاقية التي يحاربنا بها أعداء الله والإنسانية ويبثوها في بيوتنا ومجتمعاتنا من خلال وسائلهم الإعلامية، لا بد أن نرصدها ونعالج ضحاياها.

من المثلية الجنسية والتحلل الأخلاقي إلى المخدرات والعنف والاعتصاب مروراً بحب المال والدنيا والسلطة والقتل وصولاً إلى مجتمع مفكك خالٍ من المشاعر الإنسانية أو الدينية.. يكفي أن يطلع القارئ على الإحصاءات في هذا الغرب المتمدن ومن يلحقه من هذا العرب المتخلف، ليجد أرقاماً مخيفة عن جرائم الإنسان والاتجار بالبشر، وكأنك أمام نوعية من البشر تتحرك بأجسادها من دون أي وجود للروح والقلب فيها.

وانطلاقاً من هنا، علينا نحن - أبناء المجتمع المقاوم الإسلامي - أن ندق ناقوس الخطر ونعمل على توقيف الزحف، زحف أعداء الإنسانية إلى أرواحنا، لنحمي أرواح أهاليينا وأولادنا وأصدقائنا ومحبيينا من مرض "الجفاف" الذي يحاول الغرب ومن معه أن يصيبنا به ويطفئ النور المحمدي الأصيل.

## إشكالية المقال:

إنَّ إشكالية الجفاف الروحي لها مناشئ عدة، منها ذاتية وأخرى خارجية:

أما الذاتية كتلوث القلب مثلاً بالمعاصي والذي بدوره يؤدي إلى قسوة القلب وجفاف الروح وكذلك الغفلة والتي لها الأثر الكبير، وهناك أمور أخرى لها دخالة بالجفاف . ولعلاج هذه الظاهرة لابد من الشحن الروحي المستمر من خلال الفرائض والنوافل والدعاء ومحاسبة النفس وتوجيهها ومن خلال ممارسة عمليات التخلية والتحلية كما يسميه علماء الأخلاق.

اما بالنسبة للعوامل الخارجية المسببة للجفاف الروحي فهي تتمثل في الإعلام المضاد والخطاب الديني المنفر وعدم احتضان الشباب والشابات الذين ابتعدوا عن الأجواء الإيمانية بسبب التطرف الديني وتكفير الطرف الآخر الناجم عن الاستعلاء الديني، ولعلاج هذه الأمور لابد أن نركز على ثقافة التعايش مع الآخرين وأن نعمل جاهدين في أن تكون عبادتنا عبادة واعية منفتحة على الآخر.

#### فرضيات المقال:

- أ- إنَّ منشأ الجفاف الروحي هو حبّ الدنيا وحبّ الذات، وقد حذر القرآن الكريم ورسول الله (ص) وآله الطيبين (ع) من هذا الحبّ السلبي الذي يقتل الروح.
- ب- إنَّ الإيمان ليس كلمات وشعارات نطلقها في الهواء، إنما هو سلوك وعمل، وهو يتفاوت بين مؤمن وآخر، وعلى الإنسان أن يراقب نفسه ويعتني بإيمانه.
- ت- القلب كالجسد، يمرض ويموت، لذلك لا بدّ أن نتعرف على أسباب المرض القلبي كي نحمي من الموت.
- ث- العلاج يبدأ من العقل وهو جوهر الإنسان البصير، ثم التعرف على ثقافة القرآن، وصولاً إلى تطبيق الإسلام سلوكياً وعملياً على أرض المجتمع كي تعكس المؤسسات المجتمعية الصورة المشرقة للقرآن الكريم والإسلام المحمدي الأصيل.

السؤال الرئيسي للمقال هو ما هي أسباب الجفاف الروحي وعلاجه من منظور قرآني؟

للاجابة على السؤال التالي يجب الاجابة على الاسئلة الفرعية:

- أ- ما هي أسباب الجفاف الروحي من منظور قرآني؟
  - ب- كيف يحصل ضعف الإيمان؟ وما المراد من مرض القلب؟
  - ت- ما هو علاج الجفاف الروحي من منظور قرآني؟
- ١- الأهداف من المقال:

أ- إنَّ الجفاف الروحي مصطلحٌ مركَّبٌ تتداخل فيه عوامل عدّة، وقد قاربه القرآن الكريم بصورة موضوعيّة شاملة تستوفي فهمه والإحاطة به من جهة، ونمكّن من تحويله إلى برنامج حياة عمليّ من جهة أخرى؛ وتضع بين يدي الفرد الملتزم برنامج وأدوات تنظيم عالمه الروحي وتنميته باستمرار، ليحميه من تداعيات جفاف عالم المادّة، أو القيام بمعالجة آثار هذا الجفاف إن أُلْمَ بالإنسان نتيجةً لظروف بيئته ومجتمعه .

ب- يرجع حصول وتفاقم ظاهرة الجفاف الروحي إلى مسببات عديدة؛ منها عوامل داخلية؛ كمشاكل الخطاب الديني المعاصر وقصوره عن مواكبه الأفق الشاسع للنصّ الإلهيّ القرآنيّ، إلى جانب بعض الفقر في الدراسات التطبيقية التي تتخصّص في تسهيل هذه المواضيع ضمن الحياة الواقعية، وغير ذلك .

فضلاً عن عوامل خارجيّة كالتنافس الفكري والحضاري العالمي ومحاولات تسقيط الأديان عبر وسائل الإعلام والدراما الموجهة وخدمة رأس المال ... غيرها الكثير .

ج- يكتنز النصّ القرآني برامج روحيةً متكاملة؛ تتسم بالعمق والفاعلية التامة، وتمكّن الإنسان من إدارة عالمه الروحي والسموّ به فوق تحدّيات عالم المادّة وأطره المحدودة؛ وبالتالي فهي تخطو بالإنسان نحو حلم السعادة الذي تشدّه البشريّة جمعاء .

وإن إلزام المؤمن بهذه البرامج الروحية كفيلاً بإثراء حياتهم وتمكينهم من أسباب النجاح والفاعلية في الدنيا، والفلاح والرّفعة في الآخرة .

د- يجمع القرآن الكريم (ونصوص أهل العصمة التي تدور في فلكه) عناصر النّماء الروحي لدى الإنسان في قوالب نظرية وعملية؛ تبدأ من تشكيل الرؤية الوجودية لدى الفرد، ولا تنتهي بتفاصيل الأنشطة والطقوس الواجبة والمستحبة التي تنمي روحه .

كما تبلور عبر مصفوفةٍ من القيم الروحية التي توجّه الإنسان الملتزم إلى كلّ ما من شأنه تحسين واقعه وضمان مستقبله.

## المبحث الاول: الأسباب النفسية والاجتماعية للجفاف الروحي

### المطلب الأول: الأسباب النفسية

إنّ من أهمّ الأسباب النفسية للجفاف الروحي هو حبّ الدنيا وحبّ الذات، لذلك سنحاول أن نقدم شرحاً بسيطاً عنهما ونتكلم عن أثرهما السلبي.

- أولاً: الدنيا: لغة هي من الدُّنُو، وهو القرب بالذات أو بالحكم ويستعمل في المكان والزمان والمنزلة، والدنيا مقابل الآخرة، (الراغب الأصفهاني، ١٤٣١ هـ، ص ٣١٨ - ٣١٩) وهي مؤنث اسم التفضيل أدنى، وكذلك أصلها

من الدنيء: وهو القريب وسميت الدنيا لدنوها، والدني من الرجال: الضعيف الدون، لأنه قريب المأخذ والمنزلة، ودانيت بين الأمرين: قاربت بينهما. (ابن فارس، ١٣٩٩ هـ، ص ٣٠٣)

- واصطلاحاً هي كل ما للإنسان فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة ولذة قبل الوفاة. (شبر، ١٤٢٧ هـ ص ٢١٠)

#### حب الدنيا المذموم

يقول السيد دستغيب في كتابه: "أن كل من نظر إلى الدنيا بنظر الاعتبار تجعله الدنيا يرى فيعرف أنها فانية ويتصرف قلبه عنها ويعرف أن الآخرة هي الباقية ويتعلق قلبه بها، ويجعل الدنيا وسيلة لأخرته. لقوله تعالى: «وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ». (القصص، ٦٠) «وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعَنَا بِهِ زُفَرًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ» (طه، ١٣١)

وكل من نظر إلى الدنيا بالنظر الاستقلالي، نظر الراغب فيها، فستعميه الدنيا أي إنه لن يرى فناءها ومعاييبها، فيحبها ويغفل عن عالم البقاء، مثل هذا محروم واقعاً من البصيرة التي هي رؤية الحقيقة". (دستغيب، ١٩٩٠م: ج ١، ص ٤٥٧)

#### • ثانياً: مفهوم حب الذات

ويعرف مصطلح حب الذات بأنه «معتقدات الفرد بشأن نفسه (احترام الذات) ومعتقدات الآخرين بكيفية النظر لذات الفرد (احترام الذات القائم على معتقدات الآخرين)، ولا يمكن الفصل بين الحب وحب الذات إذ انهما متشابكان بشكل لا ينفصم، وتشير الدراسات إلى الارتباطات السلبية والايجابية بين أنماط الحب ومستويات حب الذات فالأفراد الذين يعانون من انخفاض حب الذات غير قادرين على اعطاء الآخرين الحب». (Campbell, et al, 2002, 340)

#### حب الذات المذموم

وهذا هو الحب الذي به يقسو القلب وتجف به الروح هو حب الذات المذموم الذي يجعل من الذات إلهاً يعبد، فيصبح الإنسان مطيعاً لشهوات نفسه معبوداً لها، وهذا ما يتبين لنا من خلال قوله تعالى: «أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا» (الفرقان، ٤٣)

ويقول سيد قطب في تفسير الآية «أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا وهو تعبير عجيب يرسم نموذجاً عميقاً لحالة نفسية بارزة، حين تنفلت النفس من كل المعايير الثابتة والمقاييس المعلومة، والموازن المضبوطة، وتخضع لهواها، وتحكم شهواتها وتتعبد ذاتها، فلا تخضع لميزان، ولا تعترف بحد، ولا تقتنع بمنطق، متى اعترض هواها الطاغى الذي جعلت منه إلهاً يعبد ويطاع ونعتقد أن هذا المستوى الخطير من عبادة الذات هو أوضح وأخطر مظهر من مظاهر الجفاف الروحي وقسوة القلب لأنه يصبح الإنسان غير قابل للهداية والإصلاح لذلك توجهت الآية إلى رسول الله بقوله أفأنت تكون عليه وكيلًا».

## المبحث الثاني: الأسباب المجتمعية

### • أولاً: الأسباب المجتمعية الداخلية

#### ١- فقدان القيادة الرشيدة

وما نقصده من القيادة الرشيدة هي المؤسسات التابعة للدولة سواء كانت هذه المؤسسات اجتماعية أو دينية أو سياسية أو إدارية، وفقدان الرشد فيها يؤدي إلى الفساد بأنواعه المختلفة، سواء كان هذا الفساد الإداري الذي يسبب كل أنواع الفسوق والفجور واللهو، وكلما اتبع الإنسان هذا الطريق يقسو قلبه ويتعد عن ذكر الله أو الفساد الاقتصادي بسبب احتكار بعض الأشخاص المقربين من السلطة ما يؤدي إلى سوء توزيع الثروة بين الناس أو الفساد القضائي لأنّ العدل أساس الحياة ولأنّ الروح السليمة المؤمنة تحتاج إلى العدل كي تعيش مع الله سبحانه العدل كله، بينما في المجتمع الظالم حيث القضاء الفاسد والسجون مليئة بالمظلومين والمجرمون نراهم على المنابر وعلى شاشات التلفاز، كل هذه الأجواء يموت فيها القلب حزناً وجفافاً وبعداً عن الله تعالى، «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ.» (الروم، ٤١)

#### ٢- تشوه المفهوم العبادي لدى المجتمع

إنّها مشكلة ثقافية فكرية سائدة عند البعض والتي تعكس سلوكاً منحرفاً عن جادة الحق مما يؤدي إلى ضعف الإيمان وجفاف الروح.

وقد أجاد الشيخ حسين معن في شرح هذا التشوه المفهومي ويُستنتج من كلامه انه بالرغم من الرابطة القوية بين الممارسات العبادية والجانب الروحي إلى إنهما مختلفان وذلك لأن الجانب الروحي هو الانشداد الداخلي، الارتباط النفسي، والروحي بالله تعالى، هذا الارتباط والانشداد الداخلي، الذي يؤدي إلى الورع والتقوى في الإسلام وعدم تصحر الروح وجفافها. وهذا المعنى يؤكد على المحتوى الحقيقي للشخصية الإسلامية وأما العبادة الخارجية من أذكار وصلوات وأدعية وضعت من أجل إرتواء الروح ولين القلب، فهي ليست المحتوى الحقيقي للشخصية الإسلامية. والآية الكريمة: «كتب عليكم الصيام، كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون.» (البقرة، ١٣٨) تؤكد هذه الحقيقة. وهي أن المهم إنما هو البناء الداخلي والانشداد النفسي، والعاطفي، والسلوكي بالله تعالى، بل وتحذر من الوقوع في خطأ الخلط بين البناء الذاتي والممارسات العبادية، لما لهذا الخلط من آثار عملية وفكرية سيئة ومن أوضحها التركيز على العبادة، والممارسات العبادية، إهمال المضمون الداخلي والتربوي للانسان. (معن، لا ت، ص ٨٢ - ٨٣)

## ● ثانياً: الأسباب المجتمعية الخارجية

### ١- الغزو الحضاري والاجتماعي والثقافي الغربي

أدى الغزو الثقافي الغربي، والتيارات الفكرية والاجتماعية المادية على العالم الاسلامي، وفقدان السيادة الاسلامية، والاستعمار العسكري والاقتصادي للبلاد الاسلامية إلى بعد المسلمين عن دينهم وسباحهم في بحر الأفكار والثقافات الغربية ونشأت ظواهر كثيرة في العالم الإسلامي بعيدة كل البعد عن الإسلام ومفهومة الصحيح وهذه بطبيعة الحال يساهم في ضعف البناء الروحي لدى المجتمع، فظاهرة كظاهرة المثلية على سبيل المثال والتي انتشرت في العقدين الأخيرين من القرن الماضي، وأصبح لها أصداء لا يمكن تجاهلها من الناحية القانونية.

### ٢- مفهوم الحرية في الحضارات الغربية

يقول السيد الطباطبائي: «إن القوانين المدنية الحاضرة لما وضعت بناء أحكامها على أساس التمتع المادي كما عرفت أنتج ذلك حرية الأمة في أمر المعارف الأصلية الدينية من حيث الالتزام بها وبلوازمها ، وفي أمر الأخلاق وفي ما وراء القوانين من كل ما يريده ويختاره الإنسان من الإرادات والأعمال فهذا هو المراد بالحرية عندهم. وأما الإسلام فقد وضع قانونه على أساس التوحيد كما عرفت ثم في المرتبة التالية على أساس الأخلاق الفاضلة ثم تعرضت لكل يسير وخطير من الأعمال الفردية والاجتماعية كائنة ما كانت فلا شيء مما يتعلق بالإنسان أو يتعلق به الإنسان إلا وللشرع الإسلامي فيه قدم أو أثر قدم فلا مجال ولا مظهر للحرية بالمعنى المتقدم فيه».(الطباطبائي، ١٣٨٣ش، ج ٤، ص ١١٦)

## المبحث الثاني

ضعف الإيمان ومرض القلب

## المطلب الأول : ضعف الإيمان

إنَّ حقيقة ضعف الإيمان يكمن في ضعف الرّادع الدّيني عند الإنسان، وكلّ تفكيك بين الإيمان وبين العمل يؤدي إلى فتح الباب على مصراعيه أمام النفاق والمظاهر الخادعة والدعاوى الباطلة وكل الذنوب والخطايا التي سببها هذه القوى الثلاث (الشهوة، الغضب، الوهم)، لذلك يجب السيطرة عليها وتنظيمها وتوجيهها وأن لا نتركها في طريق الإفراط والتفريط فنقع في مستنقع الآثام والذنوب. وهذا الضعف أشبه بضعف البدن و مناعته عندها يفتح الصراع أمام البكتيريا والفيروسات فتهلكه وهكذا هي فيروسات النفاق والمعاصي الأخرى وهنا يمكننا القول بأن ضعف الإيمان كان سببه التعلق بغير الله المطلق، بالدنيا الفانية التي أصبحت منشأ الذنوب والمعاصي والتي بدورها تسببت في مرض القلب وجفاف الروح.

وفي تفسير السيد المدرسي للآية الكريمة: أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ، يذكر: «أن الآية تبين أن هناك علاقة بين العقل والإيمان وكلاهما ينبعثان من مشكاة واحدة فالإنسان الذي يتبع عقله يهتدي إلى الإيمان ويفك قيوده من سجن الهوى أما هذا الذي يتبع هواه فيعطل عقله ولن يهتدي إلى الإيمان وهو كمن أغلق منافذ قلبه كي لا يصل إلى الحقيقة ولن يصل إليها وبطبيعة الحال حينما يتبع هواه تكثر أنانيته ولا يهتمه شيء غير نفسه وما يخدمها لذا لا يسمو إلى حالة الإيمان». (المدرسي، ١٤٩٢هـ ج ٩، ص ١٤٠)

## المطلب الثاني: مرض القلب

الظاهر أنّ مرض القلب في ظاهر القرآن هو الشك والريب المستولي على إدراك الإنسان فيما يتعلّق بالله وآياته. وبمعنى آخر، يحيد الإنسان عن الإيمان بالله فيخرج عن فطرته السليمة ويصيبها الإرتياب والشك بالله وبآياته فالذين في قلوبهم مرض هم ضعفاء الإيمان الذين يصغون إلى كل ناعق، ويميلون مع كل ريح... وهو اختلاط من الإيمان بالشرك. (الطباطبائي، لا ت، ص ٦٤٨)

ولذلك يرد على مثل هذا القلب من الأحوال، ويصدر عن صاحب هذا القلب في مرحلة الأعمال والأفعال ما يناسب الكفر بالله وبآياته. قال تعالى: (فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) (البقرة، ١٠)

## المبحث الثالث

### علاج الجفاف الروحي

## المطلب الأول: العلاجات النفسية

إنّ للعقل والنفس دوراً أساسياً في العلاج، لذلك كان علينا أن نتكلم عنهما:

## أولاً: العقل

### العلاقة بين العقل والقلب

-١

إنَّ فاعلية الإنسان العملية وتجلياته الروحية يتحكم بها العقل والقلب، وهاتان القوتان منبعهما الروح، وقد تنسجم القوتان العقلية والقلبية فتبصر الإنسان في سيره وسلوكه كأن يتخذ الوالدان قراراً حاسماً بإخراج أبنائهما من مدرسة قوية في المنهج الدراسي ولكن تنقصهما القيم الأخلاقية إلى مدرسة أقل في المستوى الدراسي، ولكن ذا قيم أخلاقية عالية بطبيعة الحال؛ هنا التضحية تضمن للطرفين سعادة و آمان أكبر.

أما إذا اتبع الإنسان هواه وجعله أميراً على عقله هلك وحاد عن الحق، لأنه أوقع عقله تحت تأثير القلب مركز الحب والبغض والصداقة والعداوة، فعن أمير المؤمنين (ع): «من عشق شيئاً أعشى بصره وأمضى قلبه، فهو ينظر بعين غير صحيحة، ويسمع باذن غير سمیعة، قد خرقت الشهوات عقله، وأماتت الدنيا قلبه». (الشريف الرضي، ١٤٠٨هـ، الخطبة: ٨٦ - ١٠٩)

### العقل والعُجب بالـنفس

-٢

يؤدي حسن الظن بالنفس وسوء الظن بالآخرين إلى ابتعاد الإنسان عن مراقبة نفسه ومن ثم الوقوع في الآثام وإلى عدم تحقيق العدالة الاجتماعية، لذا ركز الإسلام في بنائه للمجتمع الصالح على تنمية ملكة العدل والإنصاف في نفوس أبناء المجتمع بأن يتحمل الإنسان مسؤولية أخطائه ظاناً بنفسه السوء بصورة مستمرة تحصيناً لها، وقد أوضح أمير المؤمنين ذلك في قوله : «وَعَلِّمُوا - عِبَادَ اللَّهِ - أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ، فَلَا يَزَالُ زَارِياً عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيداً لَهَا. أَيُّ عَائِبٍ عَلَيْهَا» (ابن أبي الحديد، ١٩٥٩م، ج ١٠، ص ١٦) وقد أشار القرآن الكريم إلى تربية النفس وترك العُجب في قوله تعالى: و «لَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولَ كُلِّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا». (الإسراء، ٣٧ - ٣٨)

## ثانياً: النفس

### معرفة النفس والفقر الوجودي

-١

إنَّ مرحلة التقوى لا يصلها الإنسان عبر ليلة أو ضحاها كما بينها الإمام (ع)، وتحتاج إلى خطوات تبدأ بمعرفة النفس كمقدمة لمعرفة الله ولمعرفة الله طرائق عدة سنذكرها .

يروى عن رسول الله (ص): «من عرف نفسه عرف ربه». (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ج ٢، ص ٣٢) وتعبيراً على الحديث قال الشهيد المطهري: ولكي يدرك عقل الإنسان ويتعرف على الذات الإلهية الكاملة المطلقة وأنه محاط بالنور الإلهي لابد أن يلتفت إلى نفسه إلى ظلمتها إلى النقص والفقر والعجز فيها وهذه سنة التكوين من خلالها يدرك الإنسان مدى قصور في جهازه

الإدراكي، وكما ذكر الشهيد المطهري أنه كلما غاص الإنسان وتعمق في معرفة نفسه ونقصها فإنه حتما سيرتقي في سلم معرفة ربه وكماله المطلق كون أن الأشياء تعرف بأضدادها على قول العلماء. (مطهري، ٢٠١٢م، ص ٣٥)

## ٢- غربة الإنسان عن نفسه

ربما هو من أكثر الأمراض فتكاً بالإنسان، أن يكون غريباً عن نفسه وما أصعبه من مرض، وما أظلم الإنسان لنفسه عندما يكون حاضراً في ربوع وطنه و بين أهله لكنه غريباً وأي جفاف وصلت إليه روح هذا الغريب؟ فالتنبه لهذه الغربة هي من أهم العلاجات والأدوية والوسائل للتخلص من جفاف الروح ومرض القلب .

إذاً إذا ذكر الإنسان ربه ذكره الله نفسه وإذا عرف الله عرفه الله نفسه وإذا عرف نفسه عرف ربه، وإذا نسي الله أنساه نفسه فيسلك طرقاً ملتوية و معقدة للفرار من هذه النفس كأن يرتكب جريمة مثلاً فيقتل في لحظات الغضب والانفعال خانقاً لصوت ضميره الذي يردعه عن هذا العمل أو يستغرق في اللهو والقمار المسكرات.

وفي رأي الشيخ الآصفي أن غربة الإنسان المعاصر عن نفسه هي من آثار غضب الله عليه لأنه أعرض عن ربه ونأى عنه وقلب الإنسان بيد الله تعالى يقلبها كيف يشاء كما ورد في علل الشرائع «ان القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء.» (الصدوق، ١٩٦٦م، ج ٧٥)

## المطلب الثاني: العلاجات المجتمعية

### ١- الخروج من عادة الألفة والتحرر من نمطية التفكير

وحتى ينطلق الإنسان ويبدع عليه أن يتخلص من قيود أفكاره الجاهزة وأن لا ينعق مع كل ناعق، وكما عبر عنهم الإمام علي (ع) همج رعاع فقدوا كل إبداع بشري وتحولوا الى آلات بيد فرعون الطاغية دون تفكير أو تدبر هؤلاء اصبحوا مجرد الآت مستسلمة للظلم. (الصدر، لا ت، ص ١٧٨) قال تعالى: «وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا». (الأحزاب، ٦٧)

وعلى الإنسان ألا يتوقع في بيئته فقط بل يضرب في الأرض الواسعة ليتدبر في ملكوت الله حتى تتغير رؤيته الضيقة عن الأشياء والمجتمع والكون . وليس المقصود بالضرب في الأرض السفر فقط وإنما في نظر الكاتب يكون الضرب في الأرض من خلال قراءة مؤلفات الأمم الأخرى وسكان البقاع المختلفة. (المحرمي، لا ت، ص ١٧٠ - ١٧١)

### ٢- في مفهوم الانتظار

النظرة السطحية العامة والتي تصور بأن الإمام يخلص البشرية وينجيها من الهموم والمظالم و يسوقها إلى الجنة خارجاً عن السنن الإلهية وأن حكومة الإمام تقوم على أساس السيف وأن واحدة من علامات الظهور وصول الجور إلى أوجه على حسب

الرواية عن صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً. ثم يخرج رجل من عترتي أو أهل بيتي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً). (الكوراني، ١٤١١ هـ، ج ١، ص ١٠٤)

### ٣- مفهوم العمل الصالح

ويذكر سماحة الشهيد بأن الإسلام يهتم بدوافع العمل لا بمنافعه والنية الصالحة في العمل هي أساس كل شيء مهما كانت منافع العمل لأن الإسلام جاء ليربي و يصنع الإنسان واستهدف محتواه الداخلي والروحي علي عكس الرأسمالية التي تترك الإنسان ليصنع نفسه بنفسه ولم تهتم بالفكر والروح إنما ركزت على المنافع من وراء العمل. (الصدر، لا ت، ص ٣٣٩)

وكذلك فإن الإسلام يشجع على روح التضحية والإيثار وهذا واضح في الآية : «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً\* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً». (الإنسان، ٨)

### ٤- الخطاب الديني :

وقد ذكر الشيخ الصفار نتائج والتوصيات التالية نلخص بعض منها :

١- الخطاب الديني مصدرٌ أساس لأبناء الأمة في التعرف على مفاهيم الدين وتعاليمه، وله دورٌ رئيس في تشكيل ثقافتهم الدينية وسلوكهم الاجتماعي.

٢- على القيادات الواعية المخلصة في الأمة أن تبدي أعلى درجات الاهتمام بشأن الخطاب الديني في مجتمعاتها؛ لأن أيّ ضعفٍ أو خللٍ يتسلل إلى هذا الخطاب ستكون نتائجه خطيرة على الدين والمجتمع.

٣- هناك الكثير من الخطابات - تنتسب إلى الدين - كرسّت التخلف، ونشرت الكراهية، وسبّبت الخلافات والفتن، وأعطت عن الدين صورةً مشوّهةً منقّرة. لذا علينا أن ننشر ثقافة المحبة في مناهجنا والتي تبين للطلبة افضل الأساليب التي يجب اتباعها في كل أمور حياتهم لجذب الناس لهذا الدين .

٤- لا بُدّ من الاهتمام بتأهيل وإعداد الخطباء والدعاة والمبشرين، علمياً وثقافياً وتربوياً؛ ليكونوا في مستوى الكفاءة اللازمة لأداء مهمتهم الخطيرة.

٥- تجب المبادرة لتقديم رؤيةٍ مدروسة لتوجهات الخطاب الديني وأولوياته، حسب حاجة كلّ مجتمعٍ، ومستلزمات كلّ مرحلةٍ وظرف، وذلك يقتضي وجود مراكز ومؤسسات أبحاث تهتمّ بهذا الشأن. (الصفار، لا ت، ص ٣٤)



- ١- القرآن الكريم
- ٢- ابن أبي الحديد، عز الدين، شرح نهج البلاغة، (١٩٥٩م)، لبنان، بيروت، ردار إحياء الكتب العربية.
- ٣- دستغيب، عبد الحسين، القلب السليم، (١٩٩٠م)، دار البلاغة، ط ٢.
- ٤- الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسن، نهج البلاغة، (١٤٠٨هـ)، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.
- ٥- الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، (لا ت)، دار التعارف، ط ١، لبنان، بيروت.
- ٦- الصفار، حسن، الخطاب الديني والوظيفة الاجتماعية، (لا ت)، أطيايف للنشر.
- ٧- الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، علل الشرائع، (١٩٦٦م). تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، النجف الأشرف، منشورات المكتبة الحيدرية.
- ٨- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، (١٣٨٣ش)، إيران، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.
- ٩- الطباطبائي، محمد حسين، الجواهر النورانية في البحوث القرآنية، (لا ت)، لبنان، بيروت، دار المحجة البيضاء.
- ١٠- المحرمي، زكريا بن خليفة، العقل: الحكمة وصناعة الأفكار، (لا ت)، دار قراءة المعرفة.
- ١١- المدرسي، محمد تقي، من هدي القرآن، (١٤٩٢هـ)، لبنان، بيروت، دار القارئ.
- ١٢- مطهري، مرتضى، العقل والقلب، دروس من فكر الشهيد مطهري، (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م)، بيروت، مركز نون للتأليف والترجمة، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت.
- ١٣- معن، حسن، النظرات حول الإعداد الروحي، (لا ت)، التعارف للمطبوعات، لا ط، بيروت - لبنان.
- ١٤- الكوراني، علي، معجم أحاديث المهدي (عج)، (١٤١١هـ)، ط ١، قم، مؤسسة المعارف الإسلامية.
- ١٥- الراغب لأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، (١٤٣١هـ)، ط ٦، إيران، قم، منشورات ذوي القربى.
- ١٦- ابن فارس، أحمد، معجم، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، مقاييس اللغة، دار الفكر.
- ١٧- شبر، عبدالله، الأخلاق، (١٤٢٧هـ)، إيران، قم، منشورات ذوي القربى.
- 18- Campbell, W. Finkel, E. & Foster, C. (2002): Does self-love lead to love for others? A story of narcissistic game playing, Journal of Personality and Social Psychology, 83 (2).

